

جريمة مرسيليا المروعة

عرصه ندمي لظروفها وبواعثها

للأستاذ محمد عبد الله عثان

الجمهورية الفرنسية ، والامبراطورية البزايت النمساوية ، وما كفللى
رئيس جمهورية الولايات المتحدة ، ثم الملك أومبرتو ملك إيطاليا
الذى قتل سنة ١٩٠٠ بعد عدة محاولات دموية مروعة . ووقعت
في الاعوام الأخيرة على اللوكية عدة محاولات جديدة دبرها
اللاحكوميون ايضاً ، كان منها الاعتداء الذى وقع على الفونسو
الثالث عشر ملك اسبانيا السابق (سنة ١٩٢٦) ، والاعتداء الذى
وقع على جلالة ملك إيطاليا (سنة ١٩٢٨)

هذه أمثلة قليلة من ثبت القتل السياسى الحافل الذى شهدته
اوربا في العصر الأخير . ولكن جريمة مرسيليا تختلف عما تقدم
في ظروفها وبواعثها ؛ فهي جريمة قومية عنصرية كما سنرى ؛
وهي أثر بارز من آثار ذلك الصراع الجنسى الذى تضطرم به أمة
يتقمصها التناسق الجنسى ، والتضامن القومى ، وتمثل فيها اقلية
قومية غير راضية عن مركزها ومنصايها ؛ وهي كذلك أثر من
آثار ذلك الطغيان الحديدى الذى تعيش في ظله يوجوسلافيا منذ
سنة اعوام ، والذى تشمر يوطانه الاقليات الساخطة بنوع
خاص . والقاتل بتروس كاليمين Petrus Kalemén ، كرواتى
الاصل ، ينتمى الى الشعب الكرواتى ، أو إلى تلك الاقلية
القوية التى تزج تحت حكم الاغلبية العنصرية ولا تشمر نحوها
الابواط الفيرة والخط . وقد وقعت الجريمة المروعة في
ظل هذه الحركة الجنسية المضطربة ، واندفع الجاني او الجناة في
طريقهم بوحى الفكرة الجنسية التى تسيطر على شعب يعتقد أنه
مغبون مضطهد مستلوب الحقوق ،

ويجب لى نفهم ظروف الجريمة وبواعثها الحقيقية أن نعود
بضعة أعوام الى الوراء ، في سنة ١٩٢٨ ، وقع الفصل الاول
من حوادث هذه المأساة في بلنراد في بهو الجمعية الوطنية
(اسكوبشتينا) ذاتها ، وكان ذلك في مساء ٢٠ يونية ، وكانت
الناقشة تدور حادة بين نواب الأكثرية من الصرب والسلوفين ،
ونواب الاقلية المارضة ، وهم نواب الشعب الكرواتى حول
العلاق اليوجوسلافية الايطالية وموقف الحكومة منها ،
وكانت المعارضة ممثلة في حزب الفلاحين الكرواتى ورئيسه استيفان
رادتش زعيم كرواتيا الوطنى ، والحزب الديموقراطى المستقل
وزعيمه بربتش فنش ؛ فلم تلبث المناقشة أن تحولت الى نوع من
السياب والتراشق المقتنع ؛ وعندئذ نهض أحد نواب الحزب

لم يشهد العالم منذ مقتل الارشيدوق فرتر فرديندول عر
لامبراطورية النمساوية في يونيه سنة ١٩١٤ ، جريمة سياسية أشد
روعة وأبعد أثراً من تلك الجريمة التى وقعت في التاسع من هذا
الشهر في مرسيليا ، والتى ذهب ضحيتها المرحومان الملك اسكندر
ملك يوجوسلافيا ، ومسيو لوي بارتو وزير الخارجية الفرنسية .
وقد كان مقتل الارشيدوق فرتر فرديند فاتحة الأزمة الدولية
الخطيرة التى انتهت بنشوب الحرب الكبرى ، وكانت من أسبابها
المباشرة . ومن المحقق أن جريمة مرسيليا ستحدث أثرها في شئون
يوجوسلافيا الداخلية ، وفي سير السياسة الاوربية بوجه عام ؛
ومن الصعب أن تقدر منذ الآن مدى هذه الآثار ، وإن كنا نشهد
منذ الآن ندرها ومقدماتها .

كان الاغتيال وما زال على كرمصور وسيلة لتحقيق مآرب
السياسة . وجريمة الامس جريمة سياسية وقومية كما كانت جريمة
سنة ١٩١٤ . وقد شهدت اوربا في العصر الحديث طائفة حافلة من
الجرائم السياسية الرنانة ؛ وكان الملوك ، والملوك الطفلة بنوع
خاص هدف هذه الجرائم ، ولم تكن هذه الجرائم شخصية ، ولم
تقع على الملوك أو الطفلة لمجرد اشخاصهم ، ولكن لانهم يمثلون في نظر
الجناة نظاماً أو فكرة لاتتفق مع مثلهم القومية أو الديموقراطية .
وكانت « الهليزم » الروسية أعظم مصادر الوحي للقتل السياسى
خلال القرن التاسع عشر ؛ وفي ظلها وبتيديرها ارتكبت عدة
جرائم رنانة على أشخاص القياصرة وأعوانهم من الطفلة ؛ وذهب
ضحية هذه الجرائم قيصران : اسكندر الثانى سنة ١٨٨١ ،
واسكندر الثالث سنة ١٨٨٥ ، وعدة من اكابر الحكام والساسة .
ولما خبت ربح الهليزم في اواخر القرن الماضى خلفتها الدعوة
اللاحكومية (الانارشى) في تنظيم الجريمة السياسية ؛ وذهب
ضحية هذه الدعوة عدة من الملوك والاكابر مثل كارنو رئيس

في تحقيق شيء من أمانه القومية . واستمرت تحفزه مثل هذه الأمان في ظل يوجوسلافيا الجديدة ، وكان بطل كرواتيا الوطني استيفان رادتش رئيس حزب الفلاحين أقوى الأحزاب الكرواتية وأشدها نفوذاً ؛ وكان هذا الزعيم القوي الذي كونه مزيج من الثقافات الألمانية والفرنسية والروسية يسيطر ببيان السحر وخلال القوة على مواطنيه ويقودهم حين شاء ؛ وكان حزب الفلاحين حتى سنة ١٩٢٥ جمهورية النزعة يطلب بالاستقلال الذاتي ؛ وكانت كرواتيا تضطرم من حين لآخر بالثقل والظواهر القومية ؛ فتخدها حكومة بلغراد الصربية بمتهى الشدة ؛ وتذكر بذلك أحقاد الكروات الجنسية . وفي سنة ١٩٢٥ أدرك الملك اسكندر خطر هذه الحركة على وحدة يوجوسلافيا ؛ فاستدعى الزعيم رادتش وتقام معه ؛ وعقد اتفاق بين الصرب والكروات بمنح به الكروات بعض الحقوق والمزايا القومية ؛ فبدأت حركة الكروات الاستقلالية نوعاً وأبدى الشعب الكرواتي شيئاً من الولاء نحو العرش والحكومة ؛ واحتل الكروات مقاعدهم في الجمعية الوطنية ؛ واشتركوا في حكم البلاد ؛ وكان لهم في الجمعية ٨٥ كرسياً أي نحو ربع مجموع الكراسي . ولكن هذا التفاهل لم يلبث طويلاً ؛ لأن الجهة العسكرية المحافظة التي تحكم البلاد من وراء الملك اسكندر لم يرق لها هذا التسامح مع الأقلية ؛ ورأى الكروات من جهة أخرى أنهم لم ينالوا بهذا التهاون كل ما يطمحون اليه من المزايا الاستقلالية ؛ فعاد سوء التفاهل بين الفريقين مرة أخرى ؛ واشتدت الخصومة بينهما منذ سنة ١٩٢٨ ؛ ووقعت في كرواتيا قلاقل جديدة ؛ واتخذت المعارضة الكرواتية في المجلس اتفاقات «تتو» التي عقدت يومئذ بين يوجوسلافيا وإيطاليا بشأن الحدود مادة لحملات قوية على حكومة بلغراد والملك اسكندر ؛ واستمرت هذه الحملات في شدتها حتى ضاقت حكومة بلغراد وضائق الأكرية الصربية البرلمانية بها ذرعاً ؛ ووقعت بين الفريقين في الجمعية مناقشات ومناظر عاصفة انتهت في ٢٠ يونيو سنة ١٩٢٨ بوقوع تلك الذبحة البرلمانية الرائعة ، وسفك دم الزعماء الكروات في نفس المجلس الذي دعوا الى الاشتراك في أعماله ، ومصرع استيفان رادتش زعيم كرواتيا القومي ومعبودها الوطني .

وهنا أدرك الملك اسكندر خطورة الموقف ، وحاول مرة

الراديكالي الصربي ، وهو حزب الاغلبية أو حزب الحكومة ، وأطلق الرصاص على مقاعد حزب الفلاحين فقتل من نوابه اثنان أحدهما بول رادتش قريب الزعيم رادتش واحد أقطاب الحزب ، وجرح ثلاثة آخرون منهم استيفان رادتش نفسه زعيم كرواتيا الوطني . ووقع على أثر هذه الجريمة المروعة اضطراب لا يوصف في بلغراد وفي كرواتيا ، وأوقفت جلسات الجمعية الوطنية واستقلت الوزارة القائمة ، واستمرت الأزمة الوزارية نحو شهرين . ثم كانت الطامة الكبرى ب وفاة استيفان رادتش زعيم كرواتيا متأثراً من جراحه بعد ذلك بأسابيع قلائل ؛ فشيعه مواطنوه إلى قبره في مظاهرات نفحة مؤثرة تجلت فيها البغضاء الجنسية التي يضطرم بها الكرواتيون نحو الصربيين ونحو حكومة بلغراد .

كان لهذه الفاجعة الوطنية أثر عظيم في إذكاء الأحقاد الجنسية في مملكة يوجوسلافيا الجديدة ، وهي أحقاد تقوم على تراث التاريخ ، وتناثر العناصر التي تتألف منها . ذلك أن مملكة الصرب القديمة المتواضعة استحال عقاب الحرب الكبرى الى مملكة جديدة تسمى مملكة الصرب والسلوفين والكروات ؛ تضم مملكة الصرب القديمة ، وأماطة الجبل الأسود ، وسلوفينا ، وكرواتيا ، ودالماسيا ، والبوسنة والمهرسك ، وبعض أمحاء أخرى من امبراطورية النمسا والمجر القديمة . والشعب الصربي هو الكثرة بين هذه الأجناس المتنافرة ، وهو صاحب الحكم والسيادة ، واليه تنتمي الأسرة الملكية ومعظم الوزراء والحكام والقادة . وكانت كرواتيا أو بلاد الكروات بين الولايات الجديدة أشدها مراساً وأعرقها قومية وتمصباً . وتشغل كرواتيا نحو خمس المملكة الجديدة وعاصمتها « زغرب » أو « أجرام » مدينة قديمة سكانها نحو ربع مليون وبها جامعة . والكروات شعب جبلي فلاح ساذج يبلغ زهاء ثلاثة ملايين من مجموع قدره ثلاثة عشر مليوناً . وكان الشعب الكرواتي قبل الفتح التركي في القرن الخامس عشر يتمتع باستقلاله في ظل مملكة بلغانية قوية ، ثم غدت كرواتيا كما غدت صربيا والمجر ولاية عثمانية ، وضمت منذ أواخر القرن التاسع عشر الى النمسا والمجر . ولم ينس هذا الشعب الجبلي الوعر استقلاله ونزعة القومية ، فكان في ظل الأمبراطورية النمساوية يجيش بالأمان الوطنية ، ويطمح الى الاستقلال الذاتي ؛ ولم يقف الى جانب آل هابسبورج أثناء الحرب إلا طمعاً

أسرة كاراجورج فتش مؤامرة كانت نتيجتها أن قتل الملك
اسكندر أوبرينوفتش وزوجته مدام دراجا ماشين التي أثار
زواجه بها قبل ذلك بعامين نجيحة كبيرة، في غرفة نومها؛ وعلى أثر
ذلك أعلن بطرس كاراجورج فتش، والد الملك اسكندر ملكاً؛
وعهد بمهام الحكم إلى الجناة الذين اشتركوا في مقتل سلفه، فدل
بذلك على أنه لم يكن بعيداً عن الجريمة. واستمر ملكاً حتى سنة
١٩٢١، وخاض غمار الحروب البلقانية والحرب الكبرى، وتولى
ولده الملك اسكندر الحكم من بعده، وكان مولده سنة ١٨٨٨،
وكان أثناء حياة أبيه يتولى أخطر المهام العسكرية والسياسية،
فأبدى حملاً ومقدرة في قيادة يوجوسلافيا الكبرى، ولكنه لم
يوفق إلى حل المشاكل العنصرية، ولم يستطع كبح جماح العسكرية
كما قدمنا، وشاء القدر أن يذهب ضحية الأحقاد العنصرية على
ذلك النحو المؤسى.

هذه هي حقيقة البواعث والظروف التي أدت إلى مقتل الملك
الراحل، فالأحقاد القومية هي التي سلحت القاتل كالمين وزملاءه -
الكرواتيين، وهي التي دفعتهم إلى ارتكاب جريمتهم الفظيمة
انتقاماً لمصرع زعماء كرواتيا الوطنيين، وانتقاماً لما تلاقيه من آلام
الاضطهاد النظم. ومن المحقق أن سيكون للحادث أخطر الآثار
في مصائر يوجوسلافيا، وإن كان من المستحيل أن تنبأ اليوم بما
سيكون. وقد تكون ثمت وراء الجريمة عوامل تحريض أجنبية
عرفت أن تستغل الأحقاد العنصرية وأن توجهها، ولكن الجريمة
تبقى مع ذلك جريمة عنصرية، باعتبار الانتقام القومى.

إن المسألة الكرواتية تعتبر بالنسبة ليوجوسلافيا كالمسألة
الأرندية بالنسبة لانكلترا، وستبقى خطراً دائماً على الوحدة -
اليوجوسلافية، ما دامت العسكرية الصربية تأخذ بسياسة
السيادة العنصرية، وما دام الشعب الكرواتي يشعر بأنه لم يأخذ
حقه من العدالة والمساواة والاشتراك في أعباء الحكم.
أما المرحوم مسيولوى بارتو، فقد كان ضحية بريئة للجريمة،
ولم يقصده الجناة بالذات، وسيكون لمقتله أثر عميق في شئون
فرنسا الداخلية، وربما في سياستها الخارجية.

محمد عبد الله عناية
الهامي

أخرى أن يعمل على تهدئة الأحقاد القومية التي أثارها الجريمة،
والكنه لم يستطع فيما يظهر أن يثالب نفوذ العسكرية السيطرة
على الحكم؛ فلم تتخذ حكومة بلغراد في شأن النائب أو النواب
القتلة إجراءات جديده تهدئ الشعور المضطرب؛ وكان موقفها في
ذلك كوقوفها يوم مقتل الأرشيذوق فردينند من عطف على الجريمة
ورفضت بالجناة؛ وأخذت حركات زعرب عاصمة كرواتيا
ومظاهرها بشدة، وساد حكم الارهاب في كرواتيا، وطورد
زعمائها وأبناءؤها أشد مطاردة؛ وأبدت حكومة بلغراد وعملها
الصربيون في معاملة الشعب المغلوب منتهى الخشونة والقسوة؛
فتوجست العناصر الأخرى شراً واشتدت الأحقاد القومية،
وتعمقت الأزمة، وكادت يوجوسلافيا تنحدر إلى الحرب الأهلية؛
عندئذ لجأ الملك اسكندر إلى إجراء خطير حاسم؛ ففي ٢٩ يناير
سنة ١٩٢٩ أعلن إلغاء الدستور والجمعية الوطنية، وأعلن نظام
جديد يقبض الملك في ظله على كل السلطات، وتتألف الحكومة
من ستة عشر وزيراً، يُسألون أمام الملك شخصياً؛ وألغى تقسيم
يوجوسلافيا القديم إلى ولايات عنصرية، وقسمت إلى تسع
ولايات جديدة لكل ولاية حاكم مطلق؛ وغير اسمها من مملكة
الصرب والسلوفين والكروات إلى مملكة يوجوسلافيا؛ وحل
حزب الفلاحين الكرواتي، وقمعت كل حركة ومظاهرة عنصرية
بمنتهى الشدة. وساد على يوجوسلافيا كلها حكم مطلق حديدي
حتى اليوم. ولكن الملك اسكندر أبدى في اضطلاعه بمهام الحكم
المطلق كثيراً من الحزم وبعد النظر؛ فاستقرت السكينة في البلاد،
وخبث الأحقاد والفرقات القومية المحلية أمام البطش؛ ولكنها لبثت
كالنار تحت الرماد تسمى في سميت، وتربص فرص الاشتعال.
وكان من المستحيل إزاء هذه المشاكل العنصرية الخطيرة، وإزاء
استئثار العنصر الصربي بالسيادة والحكم أن تحكم يوجوسلافيا
بغير الحكم المطلق؛ ولم يكن في تقاليد العسكرية الصربية التي
تحكم من وراء العرش، ولا في تقاليد أسرة كاراجورج فتش الحالية
عليه ما يؤيد النظم البرلمانية، أو يفسح لها أي مجال حقيق.

وقد تولت أسرة كاراجورج فتش التي ينتمي إليها المرحوم الملك
اسكندر بوسائل عنيفة أيضاً. وكان العرش قبلها لأسرة أوبرينوفتش
يتولا الملك اسكندر أوبرينوفتش حتى سنة ١٩٠٣. وفي
يونيه من هذا العام دبر الحزب العسكري بتحريض